٢ - ألمانيـــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

امتاز تاريخ ألمانيا بظهور عبقريات فذة وأبطال عظام استأثروا بالسلطة فى الدولة وكانوا أول خدامها ، وكان أعظم هؤلاء الأبطال أربعة : فردريك الأكبر وبسمارك ووليم الثانى (غليوم) وهتلر . وإنى هنا أحدث القراء الكرام عن البطل الأول وهو فردريك الأكبر

ولكنى قبل أن أبدأ حديثى أحب أن أذكر أننا إذا رجعنا القهقرى إلى العصور الوسطى وجدنا العالم الألمانى مقسما إلى عدة ولايات ولم تكن هناك دولة موحدة فى ألمانيا . وكانت النواة الأولى لقيام الدولة الألمانية دوقية برندنبرج، وقد استطاع حكامها وهم من أسرة الهوهنزلرن ضم بقع متناثرة من شرق ألمانيا وغربها ووسطها وكونوا منها دولة موحدة هى مملكة بروسيا، وكان أول ملك لها فردريك الأول ١٦٨٨ — ١٧١٣

وقد خلفه على العرش فردريك وليم الأول ١٧١٣ — ١٧٤٠ الذى استطاع أن يصلح حال روسيا اقتصاديا وكون لها جيشا قويا ونظم إدارتها وشؤونها حتى إن كثيرين من المؤرخين يعدونه من أقوى وأحسن ملوك بروسيا

فردريك الأكبر ١٧٤٠ — ١٧٧٢ :

فى ١٧٤٠ لفظ فردريك وليم الأول آخر أنفاسه وترك لابنه فردريك دولة قوية اقتصاديا وحربيا ، وامله قد مات ونفسه تتقطع حسرات على ملكه ودولته ، ذلك أن وارثه فردريك الثانى لم يثبت فى شبابه أنه سينهض بأعباء المملكة بعد وفاة والده بل إنه على العكس أثار استياء والده بشغفه بقراءة الكتب الفرنسية وبحبه للشعر والموسيقى ، وقد حاول الحرب من التعليم العسكرى وهو فى الثامنة عشرة من عمره ولكن انكشف أمره وأحضر أمام والده الذى بلغ به الغضب أن كان على وشك أن يقتله بسيفه

تولى فردريك الثانى فى ربيع ١٧٤٠ ولم يلبث إلا قليلا حتى أثبت عبقريته وعظمته وانتزع لنفسه لقب فردريك الأكبر Firedrick the Great

وكان أول أعماله عمله على توسيع رقعة أملاكه ، واصطدم فى هذا بالنمسا وكانت صاحبة السيادة على العالم الألمانى وتحكم إمبراطورية واسعة تشمل النمسا والمجر وبوهيميا وغيرها . لم يرهب النمسا رغم اتساع أملاكها وسرعان ما قامت الحرب بينه وبينها

ضمان وراثى :

كان شارل السادس إمبراطورا للنمسا وكانت ابنته ماريا تريزا هى الوارثة للملك ، واحتياطا للمستقبل طلب شارل إلى ملوك الدول (بروسيا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وإسبانيا) أن يقرروا قبولهم اعتلاء ماريا للعرش دون نزاع ، وقد وافق الملوك على ذلك وتعرف هذه الوثيقة فى التاريخ بوثيقة الضمان الوراثى

ومات شارل السادس فى خريف ١٧٤٠ ومضى حين من الدهر اعتلت فيه ماريا العرش ولم تجد منازعا فانصرفت بقوتها وشبابها إذ كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها إلى العناية بشؤون إمبراطوريتها الشاسعة الأطراف المتعددة الشعوب والأجناس وإصلاح أحوالها والنهوض بها

حرب الوراثة النمساوية : ١٧٤٠ — ١٧٤٨

لكن حلم ماريا بالسلام لم يدم طويلا ، ذلك أن فردريك — رغم أن والده كان من الموقعين على الضمان الوراثى — لم يعبأ بهذا الضمان وعرض على ماريا أن تنزل عن سيلزيا فرفضت وقالت إنها مستعدة للدفاع عن رعاياها وان تبيعهم . حينذاك تقدم فردريك إلى سيلزيا واحتلها واستولى على برزلاو أشهر مدنها ولم يعلن الحرب وكانت حجته أن سيلزيا كانت ملكا لأحد أجداده

جمعت ماريا قواتها وتقدمت للقاء فردريك ولكنه انتصر عليها انتصارا رائعا فى معركة مولتز فى ابريل ١٧٤١ .. انهزمت فرنسا وإسبانيا وبافاريا وساردينيا الفرصة وحاولت انتزاع أملاك ماريا . تقدمت جيوش فرنسا وبافاريا ودخلت بوهيميا واحتلت براج فى نوفمبر ١٧٤١ واختير دوق بافاريا إمبراطورا بدلا من

ماريا واقب « شارل السابع »

توغل الأعداء داخل أملاك ماريا ومع هذا لم تفقد شجاعتها ولجأت إلى رعاياها المجريين وأقنعتهم بالاشتراك معها فقبلوا

وفى فبراير ١٧٤٢ وفى يوم تتويج شارل السابع إمبراطورا دخلت جيوش ماريا ميونخ عاصمة دوق بافاريا ، وانتصرت فرق أخرى نمساوية على جيوش فرنسا . والتفرغ ماريا لأعدائها تصالحت مع فردريك وتنازلت له عن سيلزيا . قبل فردريك الصلح وترك فرنسا وحيدة وقال عبارته المعروفة « ما أسعد أولئك الذين يستطيعون تحقيق آمالهم ثم ينظرون فى هدوء وابتسام إلى أولئك الذين أوقعوا أنفسهم بين شق الرحى »

وقد دامت الحرب أكثر من سبع سنين ، وفى ١٧٤٨ انتهت بصلح إكس لاشابل وبه أعيدت الحالة إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، وأخذ فردريك سيلزيا واعترف هو والدول بمارى إمبراطورة وبزوجها فرنسيس إمبراطورا للنمسا

حرب السنين السبع ١٧٥٦ — ١٧٦٣ :

كان صلح إكس-لاشابل هدنة بين فردريك ومارى . ذكر مبعوث إنجليزى أن مارى كانت إذا رأت أحد رعاياها السيليزيين نسيت أنها ملكة وأجهشت بالبكاء ، ولهذا عملت جاهدة على استرداد سيلزيا . لكنها قبل أن تبدأ الحرب عمدت إلى اتخاذ وسائل النصر فتحالفت مع فرنسا رغم الخصومات السابقة بينهما والروسيا والسويد وسكسونيا وكلهم طامع فى تقسيم أملاك فردريك ، وأعدت جيشها . ولم يجد فردريك حليفا أمامه سوى إنجلترا

انقسمت أوربا إلى معسكرين : الأول البروتستانتية وهى إنجلترا وبروسيا فى ناحية ، والدول الكاثوليكية فى ناحية أخرى

ووقعت الحرب ١٧٥٦ وتقدم أعداء فردريك من نمساويين وفرنسيين وروسيين وغيرهم يهاجمون أملاكه ، واحتلت ماريا سيلزيا وأعلنت أن حقوقها قد ردت إليها ، وأصبح موقف فردريك حرجا للغاية

لكنه مع هذا لم يتزعزع وتذرع بالثبات والحزم وعمد إلى مباغتة أعدائه فهزم الفرنسيين هزيمة منكرة فى موقعة روسباخ ١٧٥٧ ثم هزم النمساويين فذعرت السويد وذهلت سكسونيا وتوقف الروس بعد أن أوقع بهم فردريك الهزيمة

وأما إنجلترا فكان هناك ما يشغلها ، فقد قامت تحارب فرنسا فيما وراء البحار وتستولى على مستعمراتها فى أمريكا والهند ، واقتصرت مساعدتها لفردريك على استخدام فرقة مرتزقة من الألمان شغلت الفرنسيين عن التمكن من مساعدة أعدائه . وفى ١٧٦١ نصحته بقبول الصلح ولكنه رفض وظل يكره إنجلترا مدى حياته

وقد ساعد الحظ فردريك فماتت قيصرة روسيا ١٧٦٢ وخلفها بطرس الثالث وكان من المعجبين بفردريك ؛ فعقد معه صلحا . عندئذ تفرغ فردريك للنمسا فطردها من سيلزيا واضطر مارى إلى عقد الصلح

وفى عام ١٧٦٣ عقد صلح باريس وبه أخذت إنجلترا من فرنسا مستعمراتها فى أمريكا والهند ، وصلح هيوبرتسبرج وبه أخذ فردريك سيلزيا من النمسا مقابل اعترافه بأن يكون ابن ماريا تريزا إمبراطورا بعد أبيه ، أو بعبارة أخرى وارثا للعرش الإمبراطورى

مصلح :

لكن فردريك لم يكن قائدا حربيا فحسب ، ولكنه كان مصلحا كبيرا : ففى فترات السلم كان شديد العناية بالإصلاح . فعنى بالزراعة والتجارة والصناعة عناية كبيرة ، وكان قصره مجمع العلماء ومنتدى الفلاسفة والشعراء ، وكان فلتير من الأدباء الذين أقامروا حينا فى بلاطه ؛ كما كان فردريك نفسه شغوفا بالقراءة والكتابة وخاصة ما يتعلق بالتاريخ والسياسة ، وقد كتب ٢٤ مجلدا فى هذه المسائل وكلها باللغة الفرنسية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية